الفصل الأول

مدخـــــل الدراســة

الفصل الأول
مدخـــل الدراسـة

تعتبر الانحرافات ظاهرة عامة بين البشر؛ فالانحرافات مارسها الإنسان في كل العصور وكل الأجناس، بل إن بعضها في فترات من التاريخ كان مباحاً بصورة عامة، بل وكان محل إجلال. ولقد أضاف فرويد ملاحظة مؤداها أن النزعات المنحرفة أو الأفعال المنحرفة بين حين وحين تحدث في حياة كل فرد من الأفراد عند السوي، وعند العصابي (أوتوفينخل، ٢٠٠٦: ٢٨٦).

وتعتبر مشكلة المقامرة من المشكلات النفسية الاجتماعية التي تؤثر على المجتمع بصفة عامة، وعلى الفرد بصفة خاصة بما يترتب عليها من آثار نفسية واجتماعية واقتصادية سيئة. وتكمن خطورة هذه المشكلة في أنها تنتشر لدى الشباب الذي يمثل قوة بشرية أساسية في المجتمع. وكل إنسان يمكن أن يقامر يوماً ولا يُعد مقامراً بالمعنى الحقيقي للمقامرة، فقد يشترى إنسان ما بطاقة يانصيب، أو يراهن على شيء، وقد يربح أو يخسر ولكنه مقامر عابر، وكل إنسان من الممكن أن يشترك في لعبة وقتية للتسلية وقضاء الوقت، أما المقامرة الحقيقية فهي تتضمن عنصر المخاطرة والأمل في الربح من خلال عملية تتحكم فيها الصدفة أو شيء من الخبرة، أما المقامر المرضي . أي الذي يندفع إلى المقامرة اندفاعاً قهرياً . فهو في الحقيقة إنسان مريض بالعُصاب، وهو إنسان يعيش اللعبة وإثارتها، ويحارب الشك والغموض بالأمل في الربح.

إنها ظاهرة مركبّة وذات أبعاد نفسية واجتماعية، فلعب القمار يمكن أن يتحول إلى مرض "القمار المرضي" الذي يجعل صاحبه مهووسا باللعب، غير قادر على

التخلص منه، ومستعد لارتكاب أي شيء لتوفير مال يشارك به في ألعاب القِمار توهماً للربح. وقد يؤدي هذا الهوس إلى التضحية بالعلاقات الأسرية والاجتماعية في سبيل اللعب.

ومن الملاحظ أننا أمام عملية إلهاء وإغراء، وذلك من خلال زيادة مساحة البرامج والأنشطة الترفيهية والتي تتجنب تماماً الحديث عن أي مشكلات أو صعوبات تواجه الأفراد، وهي بذلك تخلق عالماً وهمياً ولكنه لذيذ يعيش فيه الناس وينسون واقعهم المؤلم. ويكمن دور وسائل الترفيه والتسلية في الترويج للنزعة الاستهلاكية، وتعزيز قيمة المتعة والمصلحة الشخصية، وحب المكسب، واستهداف النجاح الفردي. وكل هذه الأشياء وسائل بديلة للحاجات الإنسانية الأرقى كالأمان والحب والتقدير الاجتماعي وتحقيق الذات. وقد نجحت الفضائيات التليفزيونية ومواقع الإنترنت في جذب اهتمام الجماهير وإلهائها (محمد المهدي، ٢٠٠٧: ١١١-١١٢).

فنجد في وسائل الإعلام والقنوات الفضائية على وجه الخصوص حمى مسابقات تطوي خلفها دوافع تجارية وإعلانية وترفيهية متضافرة، وتكاد لا تخلو وسيلة إعلامية في العالم العربي من "مسابقة" (صحف، مجلات، برامج تلفزيونية، إنترنت، هواتف ...الخ. اتصل على 0900 لتربح كذا، وأسئلة في غاية التفاهة في صورة رسائل على الهواتف المحمولة: أيهما أسرع: الجمل أم الفيل أم السيارة؟ اتصل لتربح خمسين جنيهاً، سعر الرسالة أربع جنيهات).

وقد يعتقد البعض أن هذه البرامج والمسابقات هي بطبيعتها برامج محايدة، ليس لها علاقة بالأفكار أو القيم أو التوجهات أو الصراعات، وأنها لا تتعدى كونها وسائل لملء الوقت وراحة النفس، وهو اعتقاد خاطئ؛ لأنها في

حقيقتها حالة تخدير إعلامي يشبه إلى حد كبير حالة متعاطي المخدرات الذين يعيشون واقعاً وهمياً ينعمون به ولا يرغبون في تغييره رغم ما يحيط بهم من كوارث.

فالمقامرة واحدة من أهم مفاتيح الشرور، وهي تحرق أعصاب الشخصية الإنسانية، كما أنها تنتزع الفرد من أسرته ومجتمعه، وتشجعه على الاستدانة، والاختلاس أو التزوير، وفوق كل ذلك فهي تهدد اقتصاديات البلد. ولذلك كانت المقامرة موضع اهتمام الكثير من الباحثين الاجتماعيين والفلاسفة وعلماء النفس. يقول شوبنهاور([1]) (١٧٨٨-١٨٦٠): "إن المقامرة إعلان إفلاس الذكاء البشري" (فخري الدباغ، د . ت).

والمقامر المرضي لا يريد اكتناز المال، إنه يتمتع بنشوة اللعب، وقد يريد أن يخسر لا شعوريا، وهو يخسر بالفعل في نهاية المطاف، وهذا هو عنصر الماسوشية في المقامرة، فالمقامر متفائل ظاهريا، ولا يتعظ بالخسارة لأنه يحب الخسارة لاشعورياً. ومن بين عشرات القَصص عن المقامرين، تقفز دائما رائعة الأديب الروسي "ديستويفسكي": المقامر (١٨٦٦) التي هي في الحقيقة تاريخ حياته وحياة كل مريض بالمقامرة. ففي إحدى رسائله كتب ديستويفسكي إلى صديق له يقول: النقطة الأساسية هي اللعبة بحد ذاتها. وأقسم بأنني لست طامعاً في مال، على الرغم من حاجتي إليه. وهذا يفسر رعشات المتعة والإثارة والنشوة في ألعاب المقامرة بغض النظر عن الربح والخِسارة.

وقد شغلت دراسة وجهة الضبط اهتمام علماء النفس في الآونة الأخيرة؛ نظراً لما لهذا المفهوم من أهمية باعتبارهِ دينامية شخصية تساعد الفرد على أن ينظر إلى إنجازاتهِ من نجاح وفشل، في ضوء ما لديه من استعدادات وقدرات وما يقوم به من

[1] – فيلسوف ألماني تشاؤمي ساخر. أهم أعماله: الأصول الأربعة لمبدأ السبب ، العالم إرادة وفكرة.

جهد لكي يحقق أهدافه، بُغية الوصول إلى ما يرجوه، ولكي يحقق الفرد ذلك يجب مساعدته على استغلال قدراته وتهيئة البيئة الصالحة لكي ينمو مصدر الضبط النمو السليم.

فكلما كانت وجهة الضبط الداخلي Internal Locus of control أكثر وضوحاً في سلوك الفرد، أدى ذلك إلى ابتعادهِ عن المقامرة، حتى إن قام بممارستها فسرعان ما يتركها وذلك على العكس من المقامر الذي ترتفع لديه سمة وجهة الضبط الخارجي External Locus of control الذي يرى أنه لا يتحمل مسئولية أفعاله وتصرفاته ويلقي باللوم على الظروف وعلى الآخرين فنراه يفرط في ممارسة المقامرة (أكرم زيدان، ٢٠٠٥: ٥٩-٦١).

وبرغم قِدَم السلوك الانحرافي ومظاهر العنف وآلياته الموجهة إلى الآخر، إلاَّ أن المتغيرات العالمية المتسارعة، وسرعة إيقاع الحياة وتعقدها أدت إلى تعاظم الضغوط الحياتية مما شكَّل تزاحماً في مشكلات الحياة.

وتشير دراسات عديدة إلى ارتباط العنف بمظاهره المتعددة بعالم المقامرة والمقامرين. فقد لاحظت الدراسات الارتباطية التي تناولت الارتباط بين الإساءة خلال الطفولة والسلوك العنيف، والمعادي للمجتمع في أثناء المراهقة، أن حجم العنف المستخدم هو ماضي المراهق، وهو ما يُعرف بدورة العنف Cycle of violence hypothesis وهو يعني أن ضحايا العنف يصبحون من ممارسي العنف، وعندما يصلون إلى مرحلة المراهقة، يمكن أن تؤدي هذه الاختلالات النمائية الناجمة عن الإساءة للطفل إلى اضطرابات أكثر عمومية وإزماناً، وبوجه خاص، اضطرابات المزاج Mood disorders والسلوك المعادي للمجتمع (وولف، ٢٠٠٥: ١٠١-١٠٦). فالتخريب والتدمير والإتلاف قد تكون جميعها ضروباً من

الأهداف البديلة لمصادر السلطة الوالدية المبكرة بما هي صلة صد وحرمان وإحباط وعقاب لا قِبل للصغير برده أو احتماله، وعندما نتحول عن عالم الأشخاص إلى الأشياء ننتقل إلى عالم الرمز، فتصبح هذه الأشياء البديلة بدائل رمزية، فإقبال الصبية على إتلاف الممتلكات تعبير رمزي عن العدوان على أشخاص أصحاب هذه الممتلكات (فرج احمد فرج، ٢٠٠٧: ٧٤).

ولنا نموذج شائع الانتشار وهو أفلام العنف، والألعاب الكمبيوترية العنيفة، فعندما لا يتاح لنا أن نفرغ مشاعرنا العدوانية في أفعال نقدم عليها بأنفسنا نرانا نشارك في خيالنا أفعال العدوان التي يقدم عليها الآخرون بالفعل كما في المسابقات العدوانية كالمصارعة والملاكمة، أو حتى تلك التي يقدم عليها الآخرون تمثيلاً كما في الأفلام والمسلسلات التليفزيونية.

ومن هذا المنطلق خص الباحث طلبة المرحلة الثانوية بهذه الدراسة؛ لأن طلابها يمثلون مرحلة المراهقة المتوسطة، ففيها يعيش هؤلاء الطلبة فترة حرجة تكتنفها كثير من المتغيرات النفسية والاجتماعية، وهذا يؤثر سلباً وإيجاباً حسب قدرة الفرد على التوافق Adjustment مع المواقف التي يتعرض لها. ومن الملاحظ أنه في السنوات الأخيرة بدأت تظهر أعراض الاغتراب النفسي Alienation التي تتحدد بعض مظاهرها في: التمرد، اللامعيارية، اللامعني، العجز، والهروب أحياناً، والتي تحتاج إلى مواجهة صريحة وحاسمة من قبيل انفلات الأبناء من سيطرة الأسرة وانفرادهم بمعاييرهم الخاصة.

ولعل من بين أبرز أشكال الهروب في السنوات الأخيرة، الهروب إلى المخدرات، وألعاب القِمار، والارتماء في أحضان أشكال من العنف والانحراف، التماسا لتحقيق الذات، أو بحثاً عن حلم أو أمل موهوم، فكان اختيار الباحث لموضوع المقامرة Gambling، وسيكولوجية المقامر، حيث ترجع أهمية الدراسة لانتشار الظاهرة بين

طلبة المدارس الثانوية، وإن كانت لاتصل إلى حد الموائد الخضراء. وتناول الجانب السيكولوجي للظاهرة يعد المسار الصحيح لرصدها وتفسيرها وصولاً إلى علاجها؛ لأن الظاهرة وديناميتها نفسية في المقام الأول.

حيث تعتبر مرحلة المراهقة Adolescence مرحلة الطفرة الكمية والكيفية في الشخصية ككل، مرحلة البحث عن هوية كما يقول "إريكسون"، ومرحلة الميلاد الحقيقي للشخصية كما يعبر بحق "مخيمر" بأنها مرحلة البحث عن كينونة، عن الوجود الحقيقي في صميم الحياة، مرحلة دمدمة البركان في أعماق المراهقة، فهي لا تعدو أن تكون علامة من علامات الطريق التي تمهد للميلاد الوجودي للكائن البشري (إبراهيم عيد، ٢٠٠٥: ٢٢٩).

فهي مرحلة لم يعد فيها الفرد طفلاً، لكنه لم يصبح راشداً بعد، لذلك فهي أزمة، أو قُل هي قمة في الرعونة، أو الاندفاع، أو التمرد، هي شيء ما أقرب إلى الانفجار الخطِر، يبرُز فيه خطر العنف والتمرد، أزمة يتجلى فيها الصراع بين حشود وحشود من المتناقضات، فثمَّة طفل في أعماق المراهق يتشبث بظلال الطفولة الوارفة الحانية الآمنة، وثمَّة نقيض لهذا الطفل يندفع في رعونة وطيش يتعجل استقلال الراشد وحريته (فرج احمد فرج، ٢٠٠٧: ٩٢).

والمراهقين في المجتمع يتعرضون للعديد من الضغوط والشدائد والاضطرابات النفسية Psychological Disorders، وقد زاد - بالفعل – رصد الظواهر المرضية في مرحلة المراهقة والاضطرابات النفسية، وربما يعزى ذلك إلى الانتشار السريع للمعلومات بواسطة وسائل الإعلام، أضف إلى ذلك النظرة المتشائمة للمستقبل، كل هذا يزيد من حيرة المراهق ويجعل من الاختيار أزمة قد تؤدي إلى الاضطراب.

وعموماً فالقِمار يمارس لدينا في الخفاء، ويُنظر إليه من منظور الجريمة فقط لا من منظور الاضطراب في الشخصية، كما أن المقامرة من الظواهر المركبة التي يتداخل فيها العديد من العوامل النفسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والدينية، علاوة على أنها تتصل بعلم الأمراض والإدمان حسبما ورد في DSM.IV & ICD-10 حيث تمّ تصنيفها تحت عنوان: اضطرابات ضبط الدفعة Impulse control disorders. إن طرح مشكلة المقامرة وسيكولوجية المقامر تقودنا إلى قضايا سيكولوجية أخرى، وقد اختار الباحث من بينها وجهة الضبط، والعُنف، وعلاقتهما بمشكلة القمار.

أهمية الدراسة:

بناء على الاستعراض السابق، تتحدد مبررات إجراء الدراسة الحالية التي تبرز مدى أهميتها على الجانبين التاليين:

١. الجانب النظري:

في ضوء ندرة البحوث والدراسات العربية التي تناولت ظاهرة القمار، تسعى الدراسة الحالية إلى فحص سلوك المقامرة وعلاقتها بوجهة الضبط الداخلي والخارجي، والعنف لدى المراهقين.

٢. الجانب التطبيقي:

- يتمثل في الاستفادة من النظريات والمفاهيم العلمية لفحص ظاهرة القمار، ودعم الأسرة والأصدقاء والدعم الاجتماعي العام كمنبئات بالمقامرة.
- الكشف عن العوامل الوقائية التي تمنع تفشي ظاهرة المقامرة الاجتماعية بين المراهقين، وتحولها إلى مشكلة قمار خطيرة.